

تقويم منظومات التربية والتعليم بين منطق القياس ومنطق المعنى:

قراءة تحليلية نقدية في ضوء تحولات الحوكمة التعليمية

Education System Evaluation Between the Logic of Measurement and  
the Logic of Meaning: A Critical Analytical Perspective in Light of  
Transformations in Educational Governance

د. وفاء داري

Dr. Wafaa Shafer Dari

تاريخ القبول 2026 /4/30

تاريخ الاستلام 2026 /3/11

الملخص

تشهد نظم التربية والتعليم حول العالم توسعاً في عمليات تقويم الأداء، لكنّ هذا التوسّع غالباً ما يختزل التعليم إلى مؤشرات رقمية محدودة، متجاهلاً التعقيد الفعلي للعملية التعليمية وتفاعلها مع السياقات الثقافية والاجتماعية. تتجلى المفارقة في أنّ الاختبارات الدولية مثل PISA و OECD أصبحت معياراً عالمياً للجودة، رغم أنّ معظمها يقيس المعرفة السطحية ولا يلتقط العمق المعرفي أو الفروق الفردية للمتعلّمين. وفي هذا السياق تبرز أهمية التقويم المؤسسي بوصفه إطاراً أشمل لتحليل أداء المنظومات التربوية، إذ يتجاوز قياس التحصيل الفردي ليشمل فاعلية المؤسسات التعليمية وسياساتها. كما تسهم مؤشرات الأداء التربوي في توفير أدوات تحليلية تساعد على فهم كفاءة النظم التعليمية وتوجيه سياسات تحسين الجودة. يهدف هذا البحث إلى تفكيك الأسس النظرية لتقويم منظومات التربية والتعليم، وتحليل الخطاب الدولي حول جودة التعليم، من خلال منهج تحليلي نقدي يعتمد على تحليل نماذج التقويم العالمية والبرمجيات التعليمية الحديثة، مع دمج المبادئ التربوية لفلسفة التعلم النشط، ونموذج Merrill لتصميم التعليم. تُظهر النتائج أنّ التقويم المعاصر يركّز على المخرجات القابلة للقياس فقط، ويهمل الجوانب المعرفية والاجتماعية والنفسية، كما أنّ النماذج الحالية غالباً ما تتجاهل دمج المعرفة الجديدة في عالم المتعلّم، وهو ما يقوّض التراكُم المعرفي والتعلّم التطبيقي. كما يبرز البحث الحاجة إلى إعادة تصميم أدوات التقويم بما يعكس التفاعل الديناميكي بين المتعلّم

والمتعلم والمحتوى وبيئة التعلم. تقدّم هذه الورقة مساهمة علمية من خلال تقديم إطار مفاهيمي متكامل لتقويم منظومات التربية والتعليم، يجمع بين القياس الكمي والتحليل النوعي، ويراعي الفروق الفردية ويعزّز جودة التعليم، ما يفتح المجال لمراجعات سياسات التعليم على المستويين الوطني والدولي.

**الكلمات المفتاحية:** تقويم منظومات التعليم، التقويم المؤسسي، جودة التعليم، الحوكمة التعليمية، المساءلة التعليمية، التقويم واسع النطاق، الفروق الفردية في التعلم.

## Abstract

Education systems around the world are witnessing a significant expansion in performance evaluation practices. However, this expansion often reduces education to a limited set of numerical indicators, overlooking the inherent complexity of the learning process and its interaction with broader cultural and social contexts. A notable paradox emerges as international assessments such as PISA and OECD indicators have become global benchmarks of educational quality, even though many of these measures primarily capture surface-level knowledge and fail to reflect deeper learning or individual differences among students.

Within this context, institutional evaluation has gained increasing importance as a broader framework for understanding the performance of educational systems. Rather than focusing solely on individual achievement, it extends to examining the effectiveness of educational institutions, policies, and learning environments. Likewise, educational performance indicators provide analytical tools that support policymakers in assessing system efficiency and guiding quality improvement efforts.

This study aims to deconstruct the theoretical foundations of educational system evaluation and analyze international discourses surrounding educational quality. It adopts a critical analytical approach that examines global assessment models and contemporary educational technologies,

while integrating principles of active learning philosophy and Merrill's instructional design model.

The findings indicate that contemporary evaluation practices tend to prioritize measurable outputs while overlooking cognitive, social, and psychological dimensions of learning. Moreover, many prevailing models fail to incorporate new knowledge within learners' real-life contexts, which weakens cumulative knowledge development and limits applied learning. The study therefore highlights the need to redesign evaluation tools in ways that reflect the dynamic interaction between teacher, learner, content, and learning environment.

This paper contributes to the field by proposing an integrated conceptual framework for educational system evaluation that combines quantitative measurement with qualitative analysis, acknowledges individual differences among learners, and strengthens the relationship between evaluation practices and the broader goal of improving the quality of education. Such an approach may open new pathways for rethinking educational policies at both national and international levels.

**Keywords:** Educational System, Evaluation, Institutional Evaluation, Quality of Education, Educational Governance, Educational Accountability, Large-Scale Assessment, Individual Differences in Learning.

## المقدمة

في الوقت الذي أصبحت فيه نظم التعليم حول العالم خاضعة لعمليات قياس وتقييم غير مسبوقه من حيث الاتساع والكثافة، لا يزال السؤال الجوهرى مطروحا: هل تقيس هذه المنظومات ما ينبغي قياسه فعلا، أم أنها تعيد إنتاج تصور ضيق للتعليم يختزل قيمته في مؤشرات رقمية قابلة للمقارنة الدولية؟ لقد شهدت العقود الأخيرة صعود ما يمكن تسميته بثقافة القياس التربوي، حيث تحولت مؤشرات الأداء والاختبارات واسعة النطاق إلى أدوات مركزية في توجيه السياسات التعليمية وتقييم جودة النظم التربوية. ومع اتساع نطاق هذه الممارسات، بات التقييم لا يُنظر إليه بوصفه أداة تشخيصية لتحسين التعلم

فحسب، بل تحوّل تدريجيًا إلى آلية حوكمة تؤثر في تصميم المناهج، وأساليب التدريس، وحتى في تعريف النجاح التعليمي ذاته. غير أنّ هذا التحوّل، على الرغم من أهميته في تعزيز المساءلة والشفافية، أثار في الوقت نفسه نقاشًا نقديًا متزايدًا داخل الأدبيات التربوية المعاصرة. فالكثير من الباحثين يشيرون إلى أنّ التركيز المفرط على النتائج القابلة للقياس قد يؤدي إلى اختزال العملية التعليمية في مخرجات كمية محدودة، في حين أنّ التعلّم بوصفه ظاهرة إنسانية معقّدة يتشكّل عبر تفاعل ديناميكي بين المتعلّم، والمعرفة، والسياق الاجتماعي والثقافي. ومن هنا يبرز التوتر بين منطق القياس الذي يسعى إلى إنتاج مؤشرات قابلة للمقارنة، ومنطق المعنى التربوي الذي يركز على بناء الفهم العميق وتنمية القدرات المعرفية العليا لدى المتعلّمين. وتتجلى هذه الإشكالية بصورة أوضح في ظلّ انتشار الاختبارات الدولية واسعة النطاق التي أصبحت مرجعًا عالميًا للحكم على جودة التعلّم. فهذه الاختبارات، رغم ما تقدّمه من بيانات مقارنة بين الدول، لا تعكس بالضرورة تعقيد عمليات التعلّم داخل الصفوف الدراسية، ولا تكشف بصورة كافية عن الكيفية التي يندمج بها التعلّم في خبرات المتعلّمين اليومية أو في قدرتهم على التعامل مع المشكلات الواقعية. في هذا السياق، تبرز الحاجة إلى إعادة التفكير في الأسس النظرية التي تقوم عليها عمليات تقويم منظومات التربية والتعلّم، بما يسمح بالانتقال من التركيز الضيق على قياس المخرجات إلى فهم أعمق للعلاقات التي تربط بين تصميم التعلّم، وطبيعة المعرفة، والمهارات التي يتطلّبها عالم سريع التغيّر.

ومن هذا المنطلق، يكتسب النظر إلى التعلّم بوصفه عملية نشطة ومتمركزة حول حلّ المشكلات الواقعية أهمية خاصّة. فالاتجاهات الحديثة في تصميم التعلّم تشير إلى أنّ التعلّم الأكثر فاعلية يحدث عندما ينخرط المتعلّمون في معالجة مشكلات حقيقية، ويستندون معارفهم السابقة، ويختبرون تطبيق المعرفة الجديدة في سياقات متعدّدة. ويعكس هذا التّصور تحوّلًا تدريجيًا من نماذج التعلّم القائمة على نقل المعرفة إلى نماذج أكثر ديناميكية تركز على بناء المهارات المركّبة والقدرة على التعامل مع المشكلات غير محدّدة البنية، وهي مهارات باتت تشكّل جوهر الكفاءة في مجتمعات المعرفة المعاصرة.

في ضوء هذه التحوّلات، يصبح تقويم منظومات التربية والتعلّم مسألة تتجاوز مجرد قياس الأداء الأكاديمي للمتعلّمين، لتشمل تحليل الكيفية التي تدعم بها النظم التعليمية

بناء المعرفة، وتنمية المهارات، وتعزيز القدرة على التعلّم المستمر. ومن هنا تتبع أهمية إعادة فحص الأسس المفاهيمية التي يستند إليها تقويم التعليم، بهدف تطوير مقاربات أكثر شمولاً تستطيع النقاط التعقيد الحقيقيّ لعمليات التعلّم داخل المؤسسات التعليمية، وإعادة فحص الأسس المفاهيمية لتقويم التعليم، والانتقال من قياس الأداء الأكاديميّ الضيق إلى تحليل كيفية دعم النظم التعليمية لبناء المعرفة وتعزيز التعلّم المستمر، عبر مقاربات أكثر شمولاً تلتقط التعقيد الحقيقيّ لعمليات التعلّم.

### إشكالية البحث

على الرّغم من أهمية تحوّل أنظمة التعلّم نحو المساواة والشفافية، إلا أنه أثار جدلاً نقدياً حول اختزال العملية التعليمية في مخرجات كمية، مما خلق توتراً بين منطق القياس ومنطق بناء المعنى العميق. وتتفاقم هذه الإشكالية مع انتشار الاختبارات الدولية التي تقدّم بيانات مقارنة لكنّها تفشل في عكس تعقيد التعلّم داخل الفصول، أو كيفية تفاعل المتعلّمين مع المشكلات الواقعية. هنا تكمن أهمية التحوّل نحو نماذج تعليمية ديناميكية تركّز على التعلّم النشط القائم على حلّ المشكلات الحقيقية، وتنمية المهارات المركّبة بدلاً من نقل المعرفة. وفي هذا الإطار، يسعى بحثي إلى إعادة فحص الأسس المفاهيمية لتقويم التعليم، والانتقال من قياس الأداء الأكاديميّ الضيق إلى تحليل كيفية دعم النظم التعليمية لبناء المعرفة وتعزيز التعلّم المستمر، عبر مقاربات أكثر شمولاً تلتقط التعقيد الحقيقيّ لعمليات التعلّم.

### أسئلة البحث

في ضوء الإشكالية السابقة، يحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما الأسس النظرية التي قامت عليها نماذج تقويم منظومات التربية والتعليم في الأدبيات التربوية المعاصرة؟
2. كيف أسهمت التحوّلات العالمية في سياسات الحوكمة التعليمية في إعادة تشكيل مفهوم تقويم التعليم وجودته؟
3. ما الحدود المعرفية والمنهجية التي تواجه النماذج الكمية السائدة في تقويم النظم التعليمية؟

4. كيف يمكن تطوير إطار مفاهيمي أكثر شمولاً لتقويم منظومات التربية والتعليم يأخذ في الاعتبار تعقيد عملية التعلّم وتنمية المهارات المركبة لدى المتعلّمين؟

### أهداف البحث

ينطلق هذا البحث من محاولة إعادة النظر في الأسس النظرية التي تقوم عليها ممارسات تقويم منظومات التربية والتعليم في السياق المعاصر. فمع تزايد الاعتماد على المؤشرات الكمية والاختبارات واسعة النطاق، أصبح من الضروري مساءلة الافتراضات المعرفية التي تستند إليها هذه الأدوات، وفحص مدى قدرتها على عكس التعقيد الحقيقي للتعلّم داخل المؤسسات التعليمية. وفي هذا الإطار يسعى البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف المتكاملة:

- تحليل الأسس المفاهيمية لنماذج التقويم في الأدبيات الحديثة، وتتبع تحولاتها في سياق ثقافة المساءلة العالمية.
- مناقشة كيفية إعادة تشكيل سياسات الحوكمة والاختبارات الدولية لمفهوم جودة التعليم، وربطه بمؤشرات أداء قابلة للقياس.
- الكشف عن الحدود المعرفية والمنهجية للنماذج السائدة التي تختزل التعلّم في مخرجات كمية، متجاهلة أبعاده المعرفية والاجتماعية والثقافية.
- تقديم تصور مفاهيمي أكثر شمولاً يقوم على دمج القياس الكمي بالتّحليل النوعي، ويعالج التعلّم كعملية ديناميكية تتفاعل فيها المعرفة مع السياق والخبرة الإنسانية.

### أهمية البحث

تتبع أهمية هذا البحث من كونه يعالج إشكالية محورية في النقاش التربوي الراهن: كيف نقوم التعليم في عصر تتسارع فيه التحوّلات المعرفية والتكنولوجية، بينما نعتمد بشكل متزايد على اختبارات معيارية تنتج بيانات ضخمة لكنها لا تحسم الجدل حول طبيعة التعلّم الحقيقي؟ على المستوى النظري، يقدّم البحث قراءة نقدية للأسس المفاهيمية التي قامت عليها نماذج التقويم السائدة، محاولاً إعادة ربطها بفلسفة التعلّم بدلاً من اختزالها في إجراءات تقنية لقياس الأداء. كما يفتح المجال للتفكير في علاقة أكثر اتساقاً بين التقويم وجودة التعليم، تراعي التعلّم العميق والمهارات المركبة.

أما تطبيقياً، فيمكن أن يثري النقاش حول تطوير سياسات التقييم محلياً ودولياً، من خلال تقديم إطار فكري يساعد صناع القرار على تجاوز الاكتفاء بقياس النتائج الظاهرة، نحو أدوات تدعم التعلّم الحقيقي بكل تعقيداته وتفاعلاته.

### منهجية البحث

يعتمد هذا البحث على منهج تحليلي نقديّ، يقوم على مراجعة الأدبيات التربويّة الحديثة بهدف تفكيك الخطاب السائد حول تقييم التعلّم. لا أكتفي هنا بعرض الاتجاهات المختلفة، بل أحاول الغوص في الافتراضات المعرفيّة الكامنة وراء أدوات التقييم والمؤشرات الدوليّة، وكيف ساهمت مؤسسات كبرى في تشكيل مفهوم عالميّ موحد لجودة التعلّم. كما أستعين بتحليل الخطاب التربويّ لقراءة اللّغة التي تصوغ بها سياسات التقييم تصوراتنا عن التعلّم «النّاجح» أو «القيم». ومن خلال هذا المزيج بين التحليل النظريّ والنقد المفاهيميّ، أسعى للكشف عن التوتّر الخفيّ بين منطق القياس الكميّ الذي يهيمن على المشهد، وبين فهم التعلّم كتجربة إنسانيّة لا تختزل في أرقام.

### الإطار النظريّ

#### أولاً: تطوّر مفهوم تقييم التعلّم

لم يكن تقييم التعلّم عبر تاريخه ممارسة محايدة أو تقنيّة بحتة، بل ارتبط دائماً بالتصوّرات السائدة حول طبيعة المعرفة ودور المدرسة في المجتمع. ففي بدايات القرن العشرين ارتبط التقييم أساساً بثقافة القياس النفسيّ والتربويّ، حيث جرى التّعامل مع التّحصيل الدّراسيّ بوصفه ظاهرة قابلة للقياس الكميّ عبر الاختبارات المعياريّة، وهو ما عزّز تصوّراً للتعلّم يقوم على قياس المخرجات المعرفيّة القابلة للتكميم (Biesta, 2020).

ومع توسّع النّظم التّعليميّة وازدياد الاهتمام بجودة التعلّم، أصبح التّقييم أداة مركزيّة في إدارة المؤسسات التّعليميّة، ليس فقط لتحديد مستوى تحصيل المتعلّمين، بل أيضاً لتوجيه السياسات التّعليميّة وتحديد كفاءة النّظم التربويّة. غير أنّ هذا التّحول رافقه جدل علمي متزايد حول حدود النّماذج التّقليديّة للتّقييم، خاصة تلك التي تركز على المعرفة التّقريّة وتغفل العمليّات المعرفيّة العليا التي تشكّل أساس التعلّم العميق.

في هذا السياق، ظهرت اتجاهات تربوية حديثة تدعو إلى إعادة التفكير في فلسفة التّكوين، وربطه بطبيعة التّعلّم ذاته. فقد أكّدت أدبيّات التّعلّم المعاصر أنّ التّعليم الفعّال ينبغي أن يتجاوز نقل المعرفة إلى تنمية مهارات التفكير وحلّ المشكلات المعقّدة، وهي مهارات لا يمكن قياسها بسهولة عبر الاختبارات التّقليديّة (Fullan, 2021).

كما أسهمت مفاهيم مثل التّميّز التّربويّ (Excellence in Education) والتّمرّكز حول المتعلّم (Student-Centered Learning) في إعادة تعريف العلاقة بين التّعليم والتّكوين، إذ لم يعد الهدف من التّكوين مجرد قياس التّحصيل، بل دعم عمليّات التّعلّم وتعزيز قدرة المتعلّمين على بناء المعرفة بصورة نشطة. وفي هذا الإطار برزت أيضاً أهمية التّنوُّع والفروقات الفرديّة (Diversity & Individual Differences) بوصفها عنصراً أساسياً ينبغي أن تراعيه النّظم التّعليميّة في تصميم أدوات التّكوين. ومن ثمّ، أخذت الأدبيّات التّربويّة المعاصرة تتّجه نحو نماذج تقويم أكثر مرونة، تستند إلى المنحى التّكامليّ (Interdisciplinary) في فهم التّعلّم، وتؤكد أهمية التّمايز (Differentiation) في تصميم الأنشطة التّعليميّة والتّقويميّة، بما يسمح باستيعاب الفروق بين المتعلّمين وتحقيق ما يمكن تسميته بـ«تراكميّة النّجاح» داخل المسار التّعليمي.

في السياق المعاصر لتطوير النّظم التّعليميّة، برز مفهوم التّقويم المؤسّسي (Institutional Evaluation) بوصفه أحد المداخل الرّئيسة لفهم جودة الأداء التّربويّ على مستوى المنظومة ككلّ، وليس على مستوى المتعلّم الفرد فقط. ويشير التّقويم المؤسّسي إلى عملية منهجيّة تهدف إلى تحليل أداء المؤسّسات التّعليميّة وسياساتها وبرامجها التّعليميّة في ضوء مجموعة من المعايير والمؤشّرات التي تعكس مدى قدرتها على تحقيق أهدافها التّربويّة والتّنمويّة. ولا يقتصر هذا النوع من التّقويم على قياس التّحصيل الدّراسيّ، بل يمتدّ ليشمل تحليل بيئة التّعلّم، وكفاءة القيادة التّربويّة، وفعاليّة المناهج الدّراسيّة، ومستوى التّفاعل بين مكونات العملية التّعليميّة. ومن هذا المنظور يصبح التّقويم المؤسّسيّ أداة استراتيجيّة لتحسين جودة التّعليم وتعزيز التّميّز التّربويّ (Excellence in Education) من خلال ربط عمليّات التّقويم بعمليّات التّخطيط والتّطوير داخل المؤسّسات التّعليميّة (Scheerens, 2021).

## ثانياً: النماذج العالمية لتقويم النظم التعليمية

مع نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين، شهد مجال تقويم النظم التعليمية تحولاً كبيراً تمثل في صعود ما يعرف بالتقييمات الدولية واسعة النطاق، والتي تهدف إلى مقارنة أداء الأنظمة التعليمية عبر الدول. وقد أدت مؤسسات دولية دوراً محورياً في هذا المجال، من أبرزها Organisation for Economic Co-operation and Development التي تشرف على برنامج Programme for International Student Assessment، إضافة إلى الدراسة الدولية Trends in International Mathematics and Science Study التي تنظمها International Association for the Evaluation of Educational Achievement.

تهدف هذه الدراسات إلى قياس قدرة المتعلمين على تطبيق المعرفة في مواقف حياتية، وليس فقط استرجاع المعلومات، وهو ما يعكس تحولاً تدريجياً في فهم طبيعة التعلم. ومع ذلك، فقد أصبحت نتائج هذه الاختبارات في كثير من الأحيان مرجعاً رئيسياً للحكم على جودة النظم التعليمية، الأمر الذي دفع العديد من الدول إلى إعادة توجيه سياساتها التعليمية استجابة لمتطلبات هذه التقييمات (Breakspear, 2022).

إلى جانب ذلك، أسهمت مؤسسات دولية أخرى مثل World Bank في تطوير مؤشرات لقياس جودة التعليم ضمن ما يعرف بـ World Bank Education Indicators، والتي تسعى إلى ربط أداء النظم التعليمية بمؤشرات التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وقد أدى هذا التوسع في استخدام التقييم واسع النطاق (Large-scale Assessment) إلى تعزيز ما يعرف بثقافة المساءلة التعليمية (Educational Accountability)، حيث أصبحت نتائج الاختبارات والمؤشرات الإحصائية أداة رئيسية لمساءلة المؤسسات التعليمية وصانعي السياسات. غير أن هذا التوجه لم يخلُ من انتقادات، خاصة فيما يتعلق بقدرته المحدودة على النقاط الأبعاد المعقدة للتعلم.

## ثالثاً: التحول نحو الحوكمة التعليمية القائمة على البيانات

مع تسارع التحولات الرقمية وتطور تقنيات تحليل البيانات، بدأت النظم التعليمية تعتمد بشكل متزايد على البيانات في إدارة السياسات التعليمية واتخاذ القرارات. وقد أدى ذلك إلى

ظهر ما يمكن تسميته بثقافة البيانات التعلّميّة (Education Datafication)، حيث يجري جمع وتحليل كمّيات كبيرة من البيانات حول أداء المتعلّمين والمؤسّسات التعلّميّة. ففي هذا السياق، أصبحت الحوكمة التعلّميّة (Educational Governance) تعتمد بدرجة كبيرة على المؤشّرات الكميّة والتّحليلات الإحصائيّة، وهو ما عزّز دور التّقويم بوصفه أداة لإدارة النّظم التعلّميّة وتوجيه السياسات التّربويّة (Williamson, 2023). غير أنّ هذا التّحول يثير تساؤلات مهمة حول طبيعة العلاقة بين البيانات والتّعلّم، وحول الكيفيّة التي يمكن من خلالها استخدام البيانات لدعم التّعلّم بدل أن تتحوّل إلى غاية في حدّ ذاتها.

ومن ناحية أخرى، يشير بعض الباحثين إلى أنّ الاعتماد المفرط على البيانات قد يؤدّي إلى ما يسمى بـ"تبسيط التّعقيد التّربوي"، حيث يتمّ اختزال العمليّات التعلّميّة الغنيّة والمتعدّدة الأبعاد في مؤشّرات رقميّة محدودة. وفي هذه الحالة يصبح التّقويم أقرب إلى آليّة إداريّة للضّبط المؤسّسي منه إلى أداة تربويّة لدعم التّعلّم.

#### رابعًا: الانتقادات المعاصرة لنماذج التّقويم الكميّ

في ضوء التّحوّلات السّابقة، ظهرت في الأدبيّات التّربويّة المعاصرة موجة متزايدة من الانتقادات للنماذج التّقليديّة لتقويم التّعليم، خاصة تلك التي تعتمد بصورة شبه حصريّة على الاختبارات المعياريّة والمؤشّرات الكميّة. ويرى عدد من الباحثين أنّ هذه النماذج تعكس تصوّرًا اختزاليًا للتّعلّم، حيث يتمّ التّركيز على قياس ما يمكن اختباره بسهولة، بدل قياس ما يعدّ أكثر أهميّة من الناحية التّربويّة (Biesta, 2020). ومن أبرز الانتقادات الموجهة لهذه النماذج أنّها تميل إلى تجاهل السياقات الاجتماعيّة والثّقافيّة التي يتشكّل فيها التّعلّم، كما أنّها لا تأخذ في الاعتبار بدرجة كافية الفروق الفرديّة بين المتعلّمين. إضافة إلى ذلك، فإنّ الاعتماد الكبير على الاختبارات الموحّدة قد يؤدّي إلى توجيه العمليّة التعلّميّة نحو ما يعرف بظاهرة «التّعليم من أجل الاختبار»، حيث يصبح الهدف الضّمنيّ للتّعليم هو تحقيق نتائج مرتفعة في الاختبارات بدل تعزيز الفهم العميق للمعرفة. وفي هذا الإطار، يدعو عدد متزايد من الباحثين إلى تطوير نماذج تقويم أكثر شمولًا، تجمع بين القياس الكميّ والتّحليل النوعي، وتراعي طبيعة التّعلّم بوصفه عمليّة إنسانيّة معقّدة. كما يشدّد هؤلاء الباحثون على أهميّة ربط التّقويم بفلسفة التّمرّكز حول المتعلّم،

بحيث يصبح التّقيّم جزءًا من عمليّة التّعلّم نفسها، لا مجرد أداة لقياس نتائجها. ومن هنا يبرز التّحدّي الأساسيّ أمام النّظم التّعليميّة المعاصرة، وهو كيفيّة تصميم أنظمة تقويم قادرة على تحقيق التّوازن بين متطلّبات المساءلة والشفافيّة من جهة، والحاجة إلى دعم التّعلّم العميق وتنمية القدرات المعرفيّة العليا لدى المتعلّمين من جهة أخرى.

### التّحليل والمناقشة

في ضوء الإطار النظريّ السّابق، يمكن النّظر إلى تقويم منظومات التّربية والتّعليم بوصفه مجالًا تتقاطع فيه اعتبارات تربويّة ومعرفيّة وسياسية في آن واحد. فالنّقويم لم يعد مجرد أداة تقنيّة لقياس تحصيل المتعلّمين، بل أصبح عنصرًا محوريًّا في بنية الحوكمة التّعليميّة (Educational Governance) وفي آليات المساءلة التّعليميّة (Educational Accountability) التي تعتمد على الدّول والمؤسّسات الدّوليّة لتقييم جودة التّعليم.

### أولاً: الأسس النّظريّة لتقويم منظومات التّعليم

تشير الأدبيّات التّربويّة المعاصرة إلى أن نماذج تقويم التّعليم تطوّرت تاريخيًّا ضمن إطارين رئيسيّين. يتمثّل الأول في النّمودج القياسيّ الذي يركّز على قياس المخرجات التّعليميّة القابلة للتّكميم من خلال الاختبارات المعياريّة والمؤشّرات الإحصائيّة، وهو النّمودج الذي عزّزته التّقييمات الدّولية واسعة النّطاق مثل Programme for International Student Assessment و Trends in International Mathematics and Science Study. أمّا الإطار الثّاني فيرتبط باتجاهات تربويّة حديثة ترى أنّ التّقويم ينبغي أن يكون جزءًا من عمليّة التّعلّم نفسها، بحيث يسهم في دعم بناء المعرفة وتنمية مهارات التّفكير العليا لدى المتعلّمين. ومن هذا المنظور، يتقاطع تقويم التّعليم مع مفاهيم تربويّة أساسيّة مثل التّمركز حول المتعلّم (Student-Centered Learning) والتّميّز التّربويّ (Excellence in Education)، إذ يصبح الهدف من التّقويم ليس فقط قياس ما يعرفه المتعلّم، بل فهم الكيفيّة التي يبني بها المعرفة ويطبّقها في سياقات مختلفة.

### ثانيًا: التّحوّلات العالميّة في تقويم النّظم التّعليميّة

أسهمت المؤسّسات الدّوليّة خلال العقود الأخيرة في إعادة تشكيل مفهوم تقويم التّعليم

من خلال تطوير مؤشرات مقارنة بين الدول وربطها بأجندات التنمية الاقتصادية. وقد لعبت Organisation for Economic Co-operation and Development دورًا بارزًا في هذا المجال من خلال برامج التقييم الدولية التي تسعى إلى قياس قدرة المتعلمين على توظيف المعرفة في مواقف حياتية. كما اعتمدت مؤسسات دولية أخرى مثل World Bank على مؤشرات تعليمية متعددة لقياس كفاءة النظم التعليمية وربطها بمؤشرات التنمية البشرية. وقد أدى هذا التوجه إلى تعزيز ثقافة التقييم واسع النطاق (Large-scale Assessment) وإلى توسيع دور البيانات التعليمية في توجيه السياسات التربوية. غير أن هذا التحول، رغم أهميته في تعزيز الشفافية والمساءلة، يثير تساؤلات حول مدى قدرة هذه المؤشرات على تمثيل التعقيد الحقيقي لعمليات التعلم داخل البيئات التعليمية، خاصة في ظل التنوع الثقافي والاجتماعي بين النظم التعليمية المختلفة.

### ثالثًا: العلاقة بين التقييم وجودة التعليم

يظهر من تحليل الأدبيات أن العلاقة بين تقييم النظم التعليمية (Educational System Evaluation) وجودة التعليم (Quality of Education) علاقة مركبة تتجاوز مجرد قياس نتائج التعلم. فالتقييم يمكن أن يسهم في تحسين جودة التعليم عندما يستخدم بوصفه أداة تشخيصية تساعد المعلمين والمؤسسات التعليمية على فهم عمليات التعلم وتطويرها. وفي المقابل، قد يؤدي الاعتماد المفرط على الاختبارات المعيارية إلى تضيق مفهوم الجودة التعليمية، بحيث يتم اختزالها في مؤشرات أداء محدودة. وفي هذه الحالة تصبح العملية التعليمية موجهة نحو تحقيق نتائج مرتفعة في الاختبارات بدل تعزيز الفهم العميق للمعرفة. ومن هنا تبرز أهمية تبني نماذج تقييم تراعي التنوع والفروقات الفردية (Diversity & Individual Differences) بين المتعلمين، وتدعم استراتيجيات التمايز (Differentiation) في التعليم، بما يسمح بتطوير بيئات تعلم أكثر شمولاً وقدرة على تحقيق التميز التربوي.

### رابعًا: وفي إطار التقييم المؤسسي للنظم التعليمية

تكتسب مؤشرات الأداء (Performance Indicators) أهمية خاصة بوصفها أدوات تساعد في قياس مدى فاعلية المنظومة التربوية في تحقيق أهدافها. وتشمل

هذه المؤشرات عادة مجموعة من الأبعاد المتكاملة، مثل جودة مخرجات التّعلّم، وكفاءة المعلمين، ومستوى تكافؤ الفرص التّعليميّة، وفعاليّة الإدارة التّربويّة، إضافة إلى قدرة المؤسسات التّعليميّة على الاستجابة للفروق الفرديّة بين المتعلّمين. وتشير الأدبيّات الحديثة إلى أنّ بناء منظومة متكاملة من مؤشرات الأداء يسهم في تعزيز المساءلة التّعليميّة (Educational Accountability) وفي توفير قاعدة بيانات تساعد صناع القرار على تطوير السياسات التّعليميّة بصورة أكثر استنادًا إلى الأدلّة (OECD, 2022). ومع ذلك، يؤكّد عدد من الباحثين أنّ هذه المؤشرات ينبغي أن تستخدم بحذر، بحيث لا تتحوّل إلى أدوات بيروقراطيّة للقياس فقط، بل تبقى مرتبطة بهدف أعمق يتمثل في دعم التّعلّم وتحسين جودة التّعليم داخل المؤسسات التّربويّة

### النتائج الفكرية للدراسة

في ضوء التّحليل السّابق، يمكن تلخيص النتائج الفكرية الرّئيسة للبحث في ثلاث ملاحظات أساسية:

أولاً: يشير تطوّر سياسات التّقويم المعاصرة إلى ميل واضح نحو هيمنة المنطق القياسيّ في تقييم التّعليم، حيث أصبحت المؤشرات الكميّة والاختبارات واسعة النّطاق المرجع الأساسيّ للحكم على أداء النّظم التّعليميّة.

ثانياً: يكشف التّحليل عن وجود فجوة واضحة بين ما يقاس وما يحدث فعليّاً داخل الصّفوف الدّراسيّة، إذ لا تستطيع العديد من أدوات التّقويم الحاليّة النّقاط الأبعاد المعرفيّة والاجتماعيّة المعقّدة لعملية التّعلّم.

ثالثاً: تؤكّد الأدبيّات التّربويّة الحديثة الحاجة إلى نماذج تقويم متعدّدة الأبعاد تجمع بين القياس الكميّ والتّحليل النوعيّ، وتراعي طبيعة التّعلّم بوصفه عمليّة ديناميكيّة تتفاعل فيها المعرفة مع السّياق والخبرة الإنسانيّة.

رابعاً: توسيع مفهوم الجودة: تجاوز المخرجات الأكاديميّة نحو مفهوم أوسع لجودة التّعليم (Quality of Education) يشمل الأبعاد المعرفيّة والاجتماعيّة والنّقائيّة، ويرسّخ التّقويم كأداة لدعم التّميّز التّربويّ (Excellence) وتنمية مهارات التّفكير النّاقّد وحلّ المشكلات.

## التوصيات

في ضوء ما توصل إليه التحليل من نتائج، يمكن اقتراح مجموعة من التوصيات التي قد تسهم في تطوير ممارسات تقويم منظومات التربية والتعليم بما يتلاءم مع طبيعة التعلّم في القرن الحادي والعشرين.

1. تطوير نماذج تقويم تربويّ تجمع بين القياس الكميّ والتحليل النوعي، بحيث لا يقتصر الحكم على جودة التعلّم على نتائج الاختبارات المعيارية، بل يشمل تحليل عمليّات التعلّم، وأساليب التدريس، وطبيعة التفاعل داخل البيئة الصفية.

2. إعادة النظر في دور التقييمات الدولية واسعة النطاق بحيث تستخدم بوصفها أدوات تشخيصية لفهم أداء النظم التعليمية، لا بوصفها معياراً وحيداً للحكم على جودة التعلّم أو ترتيب الدول في مؤشرات المقارنة العالمية.

3. تعزيز توجهات التمرّك حول المتعلّم (Student-Centered Learning) داخل أنظمة التّقويم التربويّ، بما يسمح بتصميم أدوات تقويم تراعي الفروق الفردية (Individual Differences) وتدعم استراتيجيات التّمايز في التعلّم (Differentiation).

4. توسيع مفهوم جودة التعلّم (Quality of Education) ليشمل الأبعاد المعرفية والاجتماعية والثقافية للتعلّم، بحيث يصبح التّقويم أداة لدعم التّميّز التربويّ (Excellence in Education) وتنمية مهارات التفكير وحلّ المشكلات، لا مجرد أداة لقياس المخرجات الأكاديمية.

5. العمل على تطوير أنظمة تقويم مؤسسيّ شاملة داخل النظم التعليمية تعتمد على مجموعة متكاملة من مؤشرات الأداء التربويّ، بحيث تسهم هذه الأنظمة في دعم عمليّات التخطيط التربويّ وتحسين جودة التعلّم على مستوى المؤسسة التعليمية والمنظومة التربوية ككلّ.

## الخاتمة

تكشف القراءة التحليلية لتطور تقويم منظومات التربية والتعليم عن تحوّل عميق في موقع التقويم داخل السياسات التعليمية المعاصرة. فبعد أن كان يُنظر إليه تقليدياً بوصفه أداة لقياس تحصيل المتعلمين، أصبح اليوم عنصراً محورياً في إدارة النظم التعليمية وتوجيه السياسات التربوية على المستويين الوطني والدولي. غير أن هذا التحول، رغم ما يوفّره من فرص لتعزيز المساواة والشفافية، يطرح في الوقت ذاته تساؤلات جوهرية حول طبيعة التعلم الذي ينبغي قياسه، وحول الحدود التي تواجه النماذج القياسية في تمثيل التعقيد الحقيقي للعملية التعليمية. فالنّعلم لا يحدث في فراغ إحصائيّ، بل يتشكّل داخل سياقات اجتماعية وثقافية غنية، ويعتمد على تفاعل مستمر بين المتعلم والمعرفة والبيئة التعليمية. ومن هنا تبرز الحاجة إلى إعادة التفكير في فلسفة التقويم التربوي بحيث ينتقل من التركيز الضيق على قياس المخرجات إلى فهم أعمق للعمليات التي تنتج التعلم ذاته. إنّ بناء منظومات تقويم أكثر توازناً، تجمع بين البيانات الكمية والتحليل التربوي النوعي، يمكن أن يسهم في إعادة ربط التقويم بالمعنى التربوي للتعليم، ويعزز قدرة النظم التعليمية على دعم التعلم العميق وتنمية القدرات المعرفية التي يتطلّبها عالم سريع التغيّر.

## قائمة المراجع

- Biesta, G. (2020). Educational assessment and the measurement of learning: Beyond the limits of testing. Routledge.
- Breakspear, S. (2022). The impact of international large-scale assessments on education policy. OECD Publishing.
- Fullan, M. (2021). The right drivers for whole system success. Centre for Strategic Education.
- Organisation for Economic Co-operation and Development. (2022). Education policy outlook: Building responsive and resilient education systems. OECD Publishing.
- Organisation for Economic Co-operation and Development. (2022). PISA 2022 results: What students know and can do. OECD Publishing.
- Scheerens, J. (2021). Educational effectiveness and institutional evaluation in education systems. Springer.
- Williamson, B. (2023). Big data in education: The digital future of learning, policy and practice. Sage Publications.
- World Bank. (2021). World development report: Data for better lives. World Bank Publications.